

موقع المكتبة الصوتية للشيخ:

صَالح بنِ سَعد السُّحيمي -حفظه الله-

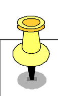
www.alsoheemy.net

الحكمة من خلق الثقلين

محاضرة مفرغة لفضيلة الشيخ الدكتور:

صَالِح بن سَعْد السُحيْميّ - حفظه الله-

المدّرسُ بِالمسجِدِ النَبويّ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَى اللهُ وَسَلَمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء: ١].

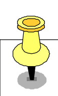
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْىِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

إخوتي وأحبتي في الله، درسُنا اليوم حول آيات كريمات من سورة: "الذاريات"، تُبيِّن الحكمة التي من أجلها خلق الله الثقلين: الجن والإنس؛ فهذه الآيات هي قول الله -سبحانه وتعالى-:

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٦-٥٨].

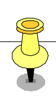


هذه الآيات الكريمة دلت على الحكمة من خلق الجن والإنس، فالله -تبارك وتعالى- إنما خلق الجن والإنس لعبادته، ولتحقيق توحيده، وليُعبد وحده دون سواه؛ ولذلك جاءت محصورة بالنفي والاستثناء: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**، خلق الله الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، ونبذ عبادة من سواه؛ وإلا فالله غنيٌّ عن العالمين؛ كما قال الله -تبارك وتعالى- مبينًا أن الله غني عن عبادة العالمين، لكن مردودها يعود عليهم أنفسهم؛ قال الله -جل وعلا-: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}** [فصلت:٤٦].

وقال -جل وعلا-: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}** [الجاثية:١٥].

وقال سبحانه:**{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** [البينة:٥].

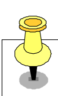
إذًا المسألة أيها الإخوة؛ مسألة عبادة يعود نفعها لك أنت؛ وإلا فالله غنيٌّ عن العالمين ((يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْبَحْرُ الْمِخْيَطَ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ)).



وجاء في أوَّلِ هذا الحديث: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُونِي أَهْدِكُمْ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ))

إخوتي وأحبتي في الله، الله الذي خلقنا لعبادته غنيٌ عنَّا، **{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}** [الزمر:٧]؛ فالله غنيٌ عمن سواه، وهو -تبارك وتعالى- المتفضل على عباده، المُنعم عليهم الذي حباهم بالنعم الكثيرة والآلاء الجزيلة، التي لا تعد ولا تحصى؛ ولذلك خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملاً؛ لتظهر حكمته -سبحانه وتعالى-، ولتتجلى قدرته -جلَّ شأنه-؛ فعلينا أن نقوم بهذه العبادة على الوجه الذي يرضي الله -سبحانه وتعالى-، فإذا قمنا بذلك خير قيام، وأدينا حق الله علينا، فإن من فعل ذلك هو الرابح، وهو الفائز، وهو الذي ينال الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن تنكر لذلك فإن له معيشة ضنكًا، وإنَّه في شر حال؛ **{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}** [القيامة: ٣٦-٤٠]

إخواني إن الواجب على كل مؤمن أن يتعلم ويتفقه في دين الله؛ حتى يؤدي تلك العبادة على الوجه الذي يرضي الله -عزَّ وجل-؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- عندما خلقنا لعبادته، وأوجدنا لطاعته؛ لم يكِل اختيار تلك الأمور إلى أذواقنا، ولا إلى أهوائنا، ولا إلى اجتهاداتنا؛ وإنما أرسل إلينا الرسل، وأنزل علينا الكتب؛ فمن أطاعهم وعبد الله على منهجهم فاز في الدنيا والآخرة، ومن تنكّر لذلك خسر الدنيا والآخرة.

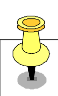


خلق الله -تبارك وتعالى- آدم على الحنيفية، على الفطرة السليمة، على عبادة الله وحده، و لم يكن هناك شيء يُعبد من دون الله، ومضى الحال على ذلك عشرة قرون – يعني: ألف عام-، والناس على فطرة الإسلام، وعلى عبادة الملك العلام، و لم تتغير فطرهم، و لم تتبدل عقيدتهم؛ حتى إذا كان ذلك ومضت هذه الحُقبة؛ جاءهم الشيطان الذي قطع عهدًا على نفسه أن يغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم؛ {**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**} [ص:٨٢-٨٣].

{**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**} [الأعراف:١٦-١٧].

هذا الشيطان الذي أخذ عهدًا على نفسه أن يُغويَ بني آدم، استطاع أن يجد له أتباعًا يُغير فطرهم، وهو لم يأهم دفعة واحدة، ويقول لهم: أعبدوا غير الله –يعني: لم يأهم دفعة واحدة أو مرة واحدة- فيقول لهم: أعبدوا الأصنام والأوثان؛ وإنما جاءهم بحيلة خطيرة، وعادته الحيل؛ لأنه قال: {**ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**} [الأعراف:١٧]

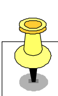
ماذا فعل اللعين؟ دخل عليهم من جهة حب الصالحين، والغلو في الصالحين؛ فأمرهم بتصويرهم، وجَعْلِ تماثيل لهم؛ بدعوى أنهم إذا رأوا تلك التماثيل تشبهوا بأهلها في العبادة، أرأيتم كيف دخل عليهم إبليس؟ لاحظتم؟ وهذا ثابت في صحيح البخاري؛ كما سنبينه بعد قليل، الشاهد أن هذا الشيطان -إبليس اللعين- الذي قطع عهدًا على نفسه أن يغوي بني آدم، ماذا فعل؟ جاءهم وقال لهم: إن هؤلاء الصالحين ماتوا وإنكم سوف تنسوهم وتنسون الإقتداء بهم، ومن أجل أن تقتدوا بهم -ماذا تفعلون؟- أقيموا لهم التماثيل والصور؛ حتى إذا رأيتم تلك التماثيل تذكرتم عبادتهم فاقتديتم بهم.



إلى الآن الأمر سهل، لم تحصل العبادة بعد، وكان هذا -كما قلت- بعد ألف عام من خلق آدم -عليه السلام-.

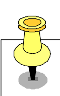
نحن لا نؤمن بملايين السنين التي يقولها الجيولوجيون، هذا دجل، الدنيا لها حد بدأه الله -عزَّ وجل- لا يعلمه إلا هو -تبارك وتعالى-، أما يأتون إلى شجر ويقولون هذا عمره كذا، ويأتون إلى حجر ويقولون هذا عمره كذا، ويأتون إلى تراب ويقولون هذا عمره كذا، هذا دجل، ضربٌ من الخيال لم يقم على تجارب علمية صحيحة؛ وإنما هي نظريات فرضية، وهي أصلاً يخشى أن تكون بنيت على نظرية التطور والارتقاء، نظرية اليهودي: "داروِن"، الذي يقول: أن الإنسان أصله قرد، وأصله سمكة ثم صار قردًا، ثم صار كذا إلى أن صار إنسانًا بهذا الشكل؛ ولذلك رد عليه حتى بعض الكفار من قومه؛ قالوا: المعروف أن الناس من آدم وآدم من تراب. اللهم إن كان "داروِن" هذا هو قرد يمكن! يمكن داروِن يكون أصله قرد! أما بنو آدم؛ فهم بنو البشر، ((كلكم لآدم وآدم من تراب)).

فنرجع إلى قصة قوم نوح، لما صوروا وبنوا تلك التماثيل، و لم تكن هناك عبادة في بداية الأمر، كانوا يتذكروهم و يتذكرون عبادهم، ويتذكرون صلاحهم؛ فيفعلون مثلهم -إلى الآن الأمر سهل- مضت السنين ومات العلماء الذين يبصّرون الناس، ويبينون لهم دينهم، ويبصروهم في الدين الحق؛ فانتشر الجهل وذهب العلم وذهب العلماء، عندما دُرِس العلم، وذهب العلماء؛ جاءهم إبليس مرة أخرى الذي كان قبل مئة سنة أو مئتي سنة -يُقال إنها مئتي سنة منذ أن أقاموا تلك التماثيل والصور، يُقال إنها حوالي مئتي سنة- جاءهم مرة أخرى إبليس -خلا لكِ الجو فبيضي واصفري ونقّري ما شئتِ أن تُنقِّري- قال لهم: يا جماعة أتدرون لماذا أقام آباؤكم هذه التماثيل؟ إنهم كانوا يتبركون بهم! ويستنزلون بهم المطر، ويتخذونهم شفعاء عند الله؛ يعني: ما قال إنها آلهة أو رب، لا، قال:



إن آباءكم كانوا يستشفعون بها عند الله، وكانوا يتوسطون بها عند الله، وكانوا يتوسلون بها إلى الله، فلماذا لم تفعلوا مثل ما فعل آباؤكم؟ فتأتون بالذبائح والقرابين وتقدمونها لهذه التماثيل لعلها تشفع لكم عند ربكم.

كما قلنا ذهب العلم وانتشر الجهل، وأصبح الناس يتقبلون أي شيء، أصبحوا يتقبلون أي شيء؛ يعني ما عندهم حصانة، لم يكونوا محصنين؛ بل كانوا في فراغ ما عندهم علم ولا علماء، فلما جاءهم إبليس؛ وقال لهم: إن آباؤكم كانوا يعكفون عندها، وكانوا يتوسطون بها عند الله -تبارك وتعالى-، عندها بدأت عبادتهم، مما يدل على أن الغلو في الصالحين، هو سبب كفر بني آدم وشركهم بالله؛ يوضح ذلك ما ثبت في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال في تفسير قول الله -جل وعلا-: **{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}** [نوح:٢٣] خمسة أشخاص؛ قال ابن عباس: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ أي: من القوم الذي بُعِثَ فيهم نوح -عليه السلام-، وليس المقصود أنهم بعد نوح، لما ماتوا هؤلاء الخمسة: "ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر"، لما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم؛ أن انصبوا؛ -يعني: أقيموا- إلى مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابًا؛ -يعني: أقيموا لهم تماثيل- ولم تعبد-يعني في بداية الأمر-؛ حتى إذا هلك أولئك -هلك العلماء- ونُسِيَ العلم، -وفي رواية: ودُرس العلم- عُبدت من دون الله، إذا نُسِيَ العلم؛ عُبِدَت من دون الله؛ فصارت تتخذ آلهة يعكفون عندها، ويطلبون منها قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وإزالة الملمات؛ بدعوى أنها تقربهم إلى الله زلفى؛ كما قال الله -تعالى-: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**[الزمر:٣].



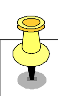
ما أشبه الليلة بالبارحة! الشرك الذي وقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنفس الطريقة، بدأ بهذا الشكل، كان الناس على الفطرة، طبعًا هؤلاء القوم كما تذكرون بعث الله فيهم نوحاً عليه السلام كم مكث فيهم؟ ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا -تسع مئة وخمسين سنة- وهو يدعوهم إلى الله، يُبيِّن لهم أنه لا يُعبَد إلا الله؛ **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف:٥٩].

في نهاية المطاف يقولون:**{مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}** [المؤمنون:٣٣].

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح:٥-١٦].

بيَّنَ لهم ذلك كثيرًا: **{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا}** [نوح:١٧-٢٠]؛ إلى أن قال: **{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا}** [نوح:٢١-٢٢]. إلى آخر الآيات المعروفة.

إذاً مكث فيهم هذه المدة الطويلة فلم يستجبْ منهم إلا القليل، **{وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}** [هود:٤٠] عند ذلك أغرقهم الله -جل وعلا- وأخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ ثمّ

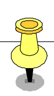


توالت الرسل بعد نوح، إلى أن بعث أفضلهم وخاتمهم، وأشرفهم وأجلهم، نبينا وإمامنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وميّزه الله بأن تكون رسالته عامة للثقلين الجن والإنس؛ **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء:١٠٧].

أرسله على حين فترة من الرسل؛ فأخذ يدعو قومه ابتداءً؛ فقالوا له نفس ما قالت قوم نوح، أنكروا، **{ أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}** [ص:٥].

فلما نصر الله دينه ومكّن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ دخل الناس كلهم في دين الله أفواجًا، خلاف ما حصل للأمم السابقة، والنبيين السابقين؛ فإنهم قومهم منهم من كذّب ومنهم من آمن -الأنبياء السابقين-، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد آمن به الناس جميعًا في ذلك الوقت، ولاسيما الجزيرة العربية؛ ثم انطلقت الفتوحات الإسلامية إلى أن بلغت ما تعلمون، وكان الناس على الفطرة، وعلى التوحيد ما كانت توجد الشركيات، ولا القباب ولا القبور التي تعبد من دون الله، وما كان الناس إلا عُبّادًا لله -تبارك وتعالى- لم يوجد شرك في بداية الأمر.

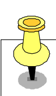
لما جاء القرن الرابع الهجري، وربما بدأ ذلك من القرن الثالث، وبدأت من تسمى بالدولة الفاطمية، وهي ليست من بني فاطمة -رضي الله عنها-؛ وإنما هي الدولة "القدّاحية الدّيصانية العبيدية اليهودية المجوسية الباطنية الإسماعيلية"، لما جاءت هذه الدولة اليهودية المجوسية أخذت تنشر نفس ما كان ينشره إبليس لقوم نوح، وقالوا نحن لماذا لا نقيم القباب على قبور الصالحين؟ حتى نقتدي بهم وحتى نؤديهم حقوقهم، ثم أحدثوا إقامة الموالد والأعياد الجاهلية، ثم أتى من أتى ليقول للناس: إن هذه شفعاء عند الله فاذبحوا لها وانذروا لها وأقْسِموا بها واستنصروا بها! "مدد يا فلان! أغثني يا فلان!" فصار الناس يعبدون تلك الأضرحة من دون الله، يذبحون لأهلها، وينذرون لهم، ويقيمون لهم الأعياد،



ويذبحون لهم القرابين، ويقسمون بها، ويطلبون البركة من أهلها -والعياذ بالله-، وانتشر الجهل، وأخذ الناس يعبدون تلك القبور إلى يومنا هذا؛ بل كل يوم تزداد، ولو أنك خرجت إلى بعض بلاد المسلمين لرأيت عبادة الأصنام والأوثان؛ كما كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند القبور التي تعظَّم، وتقام عليها القباب، وتنذر لها النذور، وتوقف عليها الوقوف، وتذبح لها الذبائح، ويطلب منها المدَد والولد؛ أليس كذلك؟ هذا موجود في بلاد المسلمين أم هذه مبالغة؟ والله موجودة لو خرجت إلى أقرب بلد إسلامي غير هذه البلاد.

أما الأصنام في هذه البلاد فقد أزيلت -ولله الحمد- من نحو ثلاثة قرون، فقد أزيلت تلك القباب، و لم تُعبد تلك القبور من دون الله.

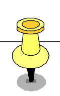
أما كثير من بلاد المسلمين فإنها تعج بهذه الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله فتجد الشخص يربّي عجلاً حتى يصبح مسنًا كبيرًا، سنة سنتين ثلاثة؛ حتى يصبح كبير ويذهب به —قال: أنا أذهب به إلى مقام الشيخ فلان-، ويذبحه عند أعتابه؛ فهذا مثل الذي يذبح للاّت والعزى ومناة وهبل، حتى ولو ذبح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للحسن والحسين، أو للشافعي ومالك وأحمد، أو نحو ذلك -رحمهم الله-؛ لكنهم بريئون من هذا، هم أنفسهم بريئون مما يفعله هؤلاء المشركون الذين يقدمون القرابين لأصحاب القبور والأضرحة . فما أشبه الليلة بالبارحة : ما الفرق بينهم وبين قوم نوح؟ لا فرق. ما الفرق بينهم وبين مشركي قريش؟ لا فرق. بل إنهم أشد شركًا؛ لأن كفار قريش يشركون في الرخاء ويؤمنون في الشدة؛ **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** [العنكبوت:٦٥]،



أما عباد القبور في هذا الزمان، وهم ممن يشهد أن لا إله إلا الله، هؤلاء في السراء والضراء يدعون غير الله؛ تجد أحدهم إذا عثرت رجله قال: يا فلان! يا سيده فلان! إذا صدمت سيارة: يا سيدي فلان! إذا مر بقبر: يا سيدي مدد يا فلان! في كل سنة يذبح له عدد من البقر والغنم، وقد يوقف عليه بعض أمواله، وهذا هو الشرك بعينه، الذي لا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً، **{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}** [فاطر:١٣-١٤].

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف: ٥-٦].

في العام الماضي، أتاني شخص في هذا المكان -في المسجد النبوي- من بلد ما من بلاد المسلمين -لا أسمّيه-؛ فقال: يا شيخ أنا ثلاثين سنة وأنا أوفر (فلوس) للحج؛ حتى جمع الله لي ما حججت به، ومن حرصي على صحة حجي أنني بذلت كل جهدي في التخلص من الذنوب، ورد المظالم، وما إلى ذلك، ولتأكيد ذلك قبل أن أتي إلى الحج أخذت خروفًا كبيرًا، وذهبت إلى ضريح السيد فلان، وذبحته على أعتابه؛ لعل الله أن يتقبل حجي! لا حول ولا قوة إلا بالله، والله هذا السؤال جاءني بهذه الصيغة في العام الماضي؛ قلت له: يا أخي الكريم أنت أبطلت حجك قبل أن تأتي، أنت أفسدت حجك من البداية؛ لكن عليك أن تستدرك من الآن، وتُسلِمَ من جديد من هذا العمل، وهو تعلقك بصاحب هذا الضريح، الذي لا يملك من دون الله شيئًا؛ فعليك أن تُجَدِّدَ إسلامك وتتوب من جديد، وكأنما ولدت الآن قبل أن تشرع في حجك، أما لو حججت وعدت



وأنت تعتقد ذلك مع صاحب هذا الضريح؛ فاعلم أنه لا حج لك، كما أنه لا صلاة لك، ولا زكاة لك، ولا صوم لك، ولا عمل لك؛ **{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}** [الفرقان:٢٣].

فيا إخوتي! أوجه لكم هذا النداء من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هذا المنبر؛ أن تبلغوا إخوانكم الذين يتعلقون بأصحاب الأضرحة؛ أن يجددوا إسلامهم من جديد، وأن يدخلوا في الإسلام من جديد؛ لأن الذبح والنذر لتلك الأضرحة شركٌ أكبر يحبط عمل من يعمله؛ فلنتنبّه، ولنرشد إخواننا الذين يقعون في هذا البلاء الخطير، وأن نبصرهم في دينهم؛ فإنهم أمانة في أعناقنا، ولنبين لهم قبل أن يحجوا، وقبل أن يصلوا، وقبل أن يصوموا، وقبل أن يزكوا، أن هذه الأعمال تبطل تلك العبادات كلها، ولو جاؤوا بعبادات أمثال الجبال **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [الزمر:٦٥].

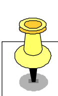
فانتبه يا عبد الله! انتبه لهذا العمل، واجتهد فيما يقربك إلى الله، وأخلص العمل لله - سبحانه وتعالى-؛ لأن العمل لا يصح إلا إذا بني على أصلين - وهو موضوع درس الغد إن شاء الله -:

الأصل الأول: إخلاص العمل لله وحده.

والأصل الثاني: الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً واعتقادًا.

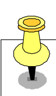
بعد هذا البيان لخطورة ما يفعل عند الأضرحة؛ أختم الدرس ببيان أحكام الزيارة في المدينة النبوية في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم -طيبة الطيبة-.

أخي الحاج: لا تكن مقلدًا في مسألة الزيارات؛ بحيث تتبع الناس والناعقين في كل ما يدعونك إليه؛ وإنما عليك أن تتأكد عن صحة هذا الأمر المكان الذي ستزوره هل زيارته



مشروعة أم ليست مشروعة؟ وإني مبين لك أحكام زيارة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتعلم السنة من البدعة:

عندما تأتي لزيارة المدينة ينبغي أن يكون قصدك ماذا؟ المقابر؟! الصلاة في المسجد النبوي، ينبغي أن يكون قصدك هو هذا، أمس كنت في بلد عربي؛ فكان أحدهم يقول: أنا أذهب لأزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ قلت له: زيارته مشروعة لكن بدون شد رحال، أنت عليك أن تقول: أنا أذهب للصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم بعد ذلك ماذا تفعل؟ تزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكن يجب أن تكون النية المقصود بها المسجد فقط؛ ثم بعد ذلك أبين لك الأماكن التي تشرع زيارتها؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا هذا كله؛ قال صلى الله عليه وسلم : **((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى))** -نسأل الله أن يرزقني وإياكم فيه صلاة قبل الموت، بعد أن يطهره الله من الأدناس والأرجاس والأنجاس- فإذاً نأتي المدينة لماذا؟ للصلاة في المسجد؛ ثم إن الزيارة ليس لها وقت محدود، تجوز طوال العام لقصد الصلاة في المسجد؛ ثم بعد هذا ماذا نفعل؟ إذا صلينا بالمسجد، نصلي في مسجد قباء، والصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والصلاة في مسجد قباء تعدل أجر عمر. واضح؟ ثم ماذا نزور بعد؟ لا بأس أن نزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه بدون مزاحمة؛ لأن الله يبلغه سلامك دون أن تزاحم؛ فلا داعي لهذه المزاحمة التي يفعلها الناس، وإذا جئت لتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم بدون شد رحال؛ فعليك أن تكتفي بالسلام ثم تنصرف، لا تدعو عند القبر، ولا تطلب منه شيئًا، ولا تتمسح بالقضبان والحيطان، ولا تتعلق بالأسطوانات ولا بالأعمدة، التي يتعلق بها بعض الجهال؛ إنما تقول: "السلام عليك يا



رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة، السلام عليك يا أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، السلام عليك يا عمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ ثم تنصرف ولا تفعل غير ذلك؛ ثم لا بأس أن تزور قبور شهداء أحد، وكذا قبور المسلمين في بقيع الغرقد كما قلت بدون شد الرحال؛ يعني زيارة القبور تأتي تبعًا لا نأتي من أجلها؛ وإنما تأتي زيارهما ماذا؟ تبعًا، فنحن نأتي للصلاة في المسجد النبوي؛ ثم بعد ذلك لا بأس أن نسلم بدون مزاحمة، وبدون مماحكة، ونسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما، إذًا هذه الأماكن التي تشرع زيارهما أهمها:

وأولها: الصلاة في المسجد النبوي، وهذا الغرض الذي نأتي من أجله.

الثاني: الصلاة في مسجد قباء، وهو يعدل أجر عمرة.

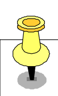
الثالث: السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-.

الرابع: السلام على أهل البقيع.

الخامس: السلام على شهداء أحد.

واعلم -رحمني الله وإياك، وجعل الجنة مأوانا ومأواك- أنه ليس هناك مسجدٌ له فضل في المدينة إلا كم مسجد؟ من يجيب؟ كم مسجد من المساجد المفضلة في المدينة؟ مسجدين فقط لا ثالث لهما، ما هما؟ المسجد النبوي، ومسجد قباء فقط فقط فقط. انتبه.

أما هذه المسميات الأخرى فلا فرق بينها وبين أي مسجد في بقعة من بقاع الأرض، ولو كان في أندونيسيا، شرقًا أو في تطوان غربًا، فهمت؟ ما في فرق بين أي مسجد في المدينة إلا المسجد النبوي، ومسجد قباء. أما المساجد الأخرى لا تشغل نفسك بها، لا تشغل نفسك بهذه المساجد؛ فإنه لا فرق بينها وبين المساجد الأخرى إنما مسجد قباء،



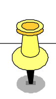
صلي مرة واحدة يكفيك، واقض بقية وقتك تصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الصلاة كل صلاة تصليها هي خير من ألف صلاة فيما سواه.

نعيد باختصار المزارات:

- الصلاة في المسجد النبوي.
- الصلاة في مسجد قباء.
- السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه.
- السلام على شهداء أحد.
- السلام على أهل البقيع.

وعند السلام على القبور لا تأخذ من التراب، ولا تتمسح ولا تمكث طويلاً، ويكفيك لو سلمت من الخارج، ولا داعي للدخول في البقيع، [سلم من برا] هذا الدخول ليس بلازم، ولا تتعلق بتلك القبور، ولا تأخذ من ترابها، ولا فرق بين تراب البقيع، وتراب الموجود في أمريكا أو اليابان، من حيث التراب في حد ذاته؛ لأن التراب لا يقدس أحدًا، فهمت؟ التراب نفسه هو التراب؛ وإنما السكنى في المدينة لها فضلها، هذا شيء آخر، أما التراب فلا دليل عند من يعتقد أن تربة المدينة تختلف عن سائر الترابات، نعم، سكنى المدينة مفضلة، والرسول صلى الله عليه وسلم قد حث عليه وقال: **((من استطاع أن يمت في المدينة فليمت بها ولو أن يأكل من شجرها))**، وقال صلى الله عليه وسلم: **((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها))**، وقال صلى الله عليه وسلم: **((والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون))**.

لكن التراب هو التراب والحجر هو الحجر، ما تأخذ لي حجارة من عند جبل أحد تتبرك بها، لا، هذا خطأ وهذا كله من تلبيس إبليس، ومن تزيين الشيطان، فانتبه يا



عبد الله! انتبه وكن مجتهدًا في إصابة السنة، وابتعد عن البدع والخرافات والخزعبلات، وأدِّ حجك على الوجه الذي يرضي ربك -سبحانه وتعالى-، وإياك أن تحتال، وإياك والحيلة، وإياك أن تحاول التخلص من مناسك الحج بالبحث عن الرخص، فإن البحث عن الرخص؛ زندقة إلا ما دل الدليل عليه أنه رخصة، البحث عن الرخص، وتتبع الرخص زندقة؛ إلا ما دل الدليل على أنه رخصة.

يا إخوان! انتبهوا أنا سامع فيه حركة تصوير جوال لا يصور أحد، لا أسمح لأحد بالتصوير ولا أبيحه في ذلك، ومن صور فعليه أن يمحوها؛ وإلا فأنا خصيمه يوم القيامة، انتبه لا تصور، المصورون ملعونون يوم القيامة عند الله -عزَّ وجل-< إلا ما دعت الحاجة إليه،؛خصوصًا تصوير ذوات الأرواح هذا محرم، انتبه لهذا.

إخوتي وأحبتي في الله اجتهدوا في أن تؤدوا حجكم على الوجه الصحيح وسنشرع -إن شاء الله- ابتداءً من الغد في قراءة أحد الكتب النافعة في الحج، ونبدأ في شرحها -إن شاء الله تبارك وتعالى-.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.